

الكشاف

" إن نحن إلا بشر مثلكم " تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم لعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم " ولكن اﻻ يمن على من يشاء من عباده " بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم " إلا بإذن اﻻ " أرادوا أن الإتيان بالآية التي افترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة اﻻ " وعلى اﻻ فليتوكل المؤمنون " أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا : ومن حقنا أن نتوكل على اﻻ في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم . ألا ترى إلى قوله : " وما لنا أن لا نتوكل على اﻻ " ومعناه : وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه " وقد هدانا " وقد فعل بنا ما يجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فإن قلت : كيف كرر الأمر بالتوكل ؟ قلت : الأول لاستحداث التوكل وقوله : " فليتوكل المتوكلون " معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم .

" وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد " .
" لنخرجنكم " " أو لتعودن " ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك . فإن قلت : كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها . قلت : معاذ اﻻ ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال . أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد " لنهلكن الظالمين " حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه . وقرأ أبو حيوه : ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك : أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن . والمراد بالأرض . أرض الظالمين وديارهم ونحوه " وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاريها " الأعراف : 127 ، " وأورثكم أرضهم وديارهم " الأحزاب : 27 ، . وعن النبي A : " من آذى جاره ورثه اﻻ داره " . ولقد عاينت هذا في مدة قريبة : كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني اﻻ ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول اﻻ A

وحدثهم به وسجدنا شكرا □ " ذلك " إشارة إلى ما قضى به □ من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق " لمن خاف مقامي " موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف □ الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام . وقيل : خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله . والمعنى إن ذلك حق للمتقين كقوله : " والعاقبة للمتقين " الأعراف : 128 .

" واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ " .

" واستفتحوا " واستنصروا □ على أعدائهم " إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح " الأنفال : 19 ، أو استحكموا □ وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى : " ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق " الأعراف : 89 ، وهو معطوف على " أوحى إليهم وقرئ : واستفتحوا بلفظ الأمر . وعطفه على " لتهلكن " أي : أوحى إليهم ربهم قال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا " وخاب كل جبار عنيد " معناه فنصروا وطفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم . وقيل : واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه " من ورائه " من بين يديه . قال : . عسى الكرب الذي أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريب